East Journal of Human Science
ISSN: 3079-9384 DOI: https://doi.org/10.63496/ejhs.Vol1.Iss4.106
مجلة الشرق للعلوم الإنسانية
المجلد:١ العدد: ٤
الناشر: الشرق للنشر والتكنولوجيا

فينومينولوجيا الزمن في شعر إيليا أبي ماضي قصيدة [المساء] أنموذجاً

هند بنت عبدالله بن حسن البلوشية [١]
[١] مدرسة تبوك للتعليم الأساسي، صحار، سلطنة عمان، H.bilush@moe.om

Phenomenology of Time in the Poetry of Elia Abu Madi, The Poem [Evening] as A Model

Hind Abdullah Hassan Al Balushi[1]
[1]Tabuk Basic Education School, Suhar, Sultanate of Oman, H.bilush@moe.om

Received: 21/05/2025; Revised: 13/06/2025; Accepted: 20/06/2025; Published: 01/07/2025

الملخص:

يقوم هذا البحث بمحاولة استقصاء التجربة الشعورية عند الشاعر إيليا أبي ماضي، الذي جعل من الزمن عنصراً مهماً، حيث يرتبط الشعر بالزمن ارتباطاً عميقاً، يصل لحد التماهي الكامل بين مكنونات الشاعر والعالم الخارجي، بما تحمله تلك الأزمنة من دلالات عميقة، وهنا تتميز النصوص الخلّاقة في مدى قدرتها على مجابهة الأزمنة، ومدى الولوج العميق في المجاهيل؛ وبذلك تترك التأويل مفتوحا لفلسفة القارئ ونظرته للزمن حسب منظوره الخاص. وعن طريق آليات التأثير الفينومينولوجي يسعى البحث لتحديد الأجزاء الزمنية في النص الأدبي الذي تم اختياره أنموذجاً للتحليل والدراسة، وما يتعلق به من الانفعالات العاطفية عند الذات الشاعرة.

ومن خلال التحليل لدلالات الأزمنة نجد أن الشاعر قد نوّع استخدامه للأزمنة والأوقات، آخذاً الحوار بينه وبين سلمى طريقة لتوضيح اختلاف النظرة للزمان، التي تحمل دلالات كوّنتها التأثيرات النفسية للذات الشاعرة والذات المحاورة.

كلمات مفتاحية: الفينومينولوجي، التجربة الشعورية، إيليا أبو ماضي، الزمن

Abstract :

This research attempts to explore the emotional experience of poet Elia Abu Madi, who made time an important element. Poetry is deeply connected to time, reaching the point of complete identification between the poet's innermost thoughts and the outside world, with the profound connotations these times carry. Creative texts are distinguished here by their ability to confront time and delve deeply into the unknown. Thus, they leave interpretation open to the reader's philosophy and view of time according to their own perspective. Using phenomenological mechanisms, the research seeks to identify the temporal components in the literary text chosen as a model for analysis and study, and the related emotional reactions of the poetic self .

Through the analysis of the connotations of time, we find that the poet has diversified his use of time and periods, using the dialogue between him and Salma as a way to illustrate the difference in perceptions of time, which carry connotations formed by the psychological influences of the poetic self and the interlocutor.

Keywords: *Elia Abu Madi, Emotional experience, Phenomenology, Time*

المقدمة

تمثل الصورة الشعرية ركنا أساسيا مهما في تكوين النص الشعري، وتأسيس تجربة إبداعية مختلفة في صياغتها للصور والظواهر المتعددة في العالم الخارجي، فهي تقوم بنقل اللغة من صفتها الاجتماعية المتداولة

حقوق النشر: ©٢٠٢٥ المؤلف(ون). تُنشر بواسطة الشرق للنشر والتكنولوجيا. هذه المقالة متاحة بنظام الوصول المفتوح بموجب شروط الإبداعي النسبية ٤,٠ الدولية، والتي تتيح الاستخدام والتوزيع وإعادة الإنتاج دون قيود في أي وسيط، بشرط الاستشهاد بالعمل الأصلي

إلى لغة أخرى مرتكزة إلى العلاقة بين الأشياء المرئية واللامرئية والحسية واللاحسية، وهنا محور الفرق بين الشاعر والآخر، في كيفية معالجة المشاهد الحياتية برؤية قائمة على تفجير المدلول، وذلك من خلال إيجاد صور مختلفة للمعنى، خارج السياق المتعارف عليه خاصة في الزمن المعاصر وتحديدا لدى شعراء الحداثة؛ فإنهم يذهبون بالنص إلى رموز مفتوحة لا حدود لها معتمدين على كثافة التصوير والتخييل، فيصبح النص مركزا لاكتشاف مرايا الواقع وظواهره(العلاق، 2013).

فالصورة الشعرية تتعلق مباشرة بعامل الزمن، وحضور الأشياء وغيابها، فإدراك الموجودات حسيا يقتضي المثول أمام الزمن الطبيعي حتى تتفاعل الحواس مع المدركات جميعها ذات الصفة الملموسة. محاولةً للدخول في عوالم الزمن المختلفة، فسطوة الزمن وقوته الجارفة تتضح في صياغة الصور برؤية مختلفة في كل لحظة عابرة، واختيار الشاعر لزمن معين يعكس العاطفة العميقة التي تؤثر عليه.

وسوف تستقرئ الباحثة تشخيص الزمن في شعر إيليا أبي ماضي، ودلالته، وربطه بالحالة النفسية والعاطفية، والتأويل الفينومينولوجي للزمن، وأيضا ربط الزمن بالرموز الشعرية في النص.

الدراسات السابقة

على الرغم من قلة الدراسات المتصلة بموضوع البحث، إلا أنّ الباحثة استطاعت الاستعانة بعدة دراسات سابقة لها علاقة بدلالة الزمن، وتسهم هذه الدراسات في فهم أعمق لدلالة الزمن في شعر إيليا أبي ماضي، وتوفّر أسسا نظرية وتطبيقية لهذا البحث، وفيما يأتي تفصيل لهذه الدراسات:

(١) دراسة سوزان فخري رفيق(2023)[تشخيص الدهر والزمن في شعر إيليا أبو ماضي: دراسة وتحليل]:

حيث ذكرت الباحثة بملخص دراستها أنّ الزمن إحدى الأركان الأساسية في البناء الأدبي، وقد شغلت دراسته حيزا كبيرا في الدراسات النقدية، ويتأمل الشاعر الزمن بوصفه عنصرا متحركا ضمن الأفق المكاني، فالشاعر يشكو من كبره أو هرمه، أو يحن إلى طفولته وشبابه، ويشكو من الدهر وما يصبيه فيه، ولذلك يتعامل مع الزمن بوصفه كائنا حيا، وهذا هو التشخيص، والذي يعني إبراز الجمادات من خلال صور تظهر فيها بشكل حي.

(٢) دراسة سعاد عبد الحليم إبراهيم (2019)، [الزمن وإنتاج خطاب الرضا: دراسة أسلوبية موازنة بين الشاعر إيليا أبي ماضي والشاعر محمد مصطفى حمام] :

حيث أوضحت الباحثة أن الأسلوب نسق يكسر التقليد وصورة للأداء اللفظي بما يطرحه العمل من معان وسياقات تتشبع بالأفكار والصور في اتساق وإيقاع يميز نصا عن آخر. ومن ثم تبرز خصوصية القصيدة الشعرية بأنها من أكثر الأنماط التعبيرية قدرة على تحقيق هذا التميز اللفظي دلالة، وسياقا، وخيالا، وإيقاعا. وهو ما سعت هذه الدراسة لكشفه في قصيدتين تمثلان علاقة تناص خاص في أسلوبهما، إحداهما لشاعر لم يلق قدرا من الصيت والألقة قدر ما يستحق، هو الشاعر المصري مصطفى حمام، عنوانها "علمتني الحياة". والقصيدة

الأخرى لرمز شعري مهجري هو الشاعر إيليا أبو ماضي، بقصيدته "فلسفة الحياة". هاتان القصيدتان تتقاطعان في خطاب "الرضا" معنى وأسلوبا وزمنا؛ مع تشاكل إيقاعي خاص، مما كان باعثا لرصد أسلوبي موازن، يكشف مناطق التلاقي بين عملين يجمعهما أكثر ما تستقل به كل قصيدة عن نظيرتها.

(٣) دراسة صباح هابس السويفان(2010)،[الليل عند إيليا أبي ماضي: دراسة في الرؤية والصورة]:

هدف هذه الدراسة يتمثل في الكشف عن العلاقة بين إيليا أبي ماضي الزمن, متخذة من "الليل" نموذجاً. وإذا كان أبو ماضي قد لجأ إلى الطبيعة ونظر إليها بمنظور فلسفي في بعض الأحيان، فإنه استحضر الليل في شعره, وعبر عنه تعبيراً فنياً حاول من خلاله أن يصور موقفه من الزمن بشكل عام. ولن تقف هذه الدراسة عند الليل بوصفه موضوعاً شعرياً فحسب، وإنما ستحاول أن تظهر صورة الليل عند أبي ماضي، الذي لجأ إلى استخدام وسائل تعبيرية وطرائق فنية ليكشف من خلالها عن موقفه النفسي والفني، ولذلك فإن الليل عند أبي ماضي لم ينقل إلى شعره بأسلوب مباشر، وإنما جلّى هذه الصورة بأسلوب فني فيه بعد عن النقل الحرفي للأشياء.

منهجية البحث:

هدف البحث وأهميته:

يهدف هذا البحث إلى:

- تحليل البنية الزمنية في قصيدة " المساء" باستخدام منهج الفينومينولوجيا.
- إظهار كيف يتجلّى الزمن كحالة شعورية ووجودية في النص الشعري.
- ربط التجربة الزمنية بشعور الإنسان بالحزن أو الحنين أو الاغتراب.

ولهذا البحث أهمية كبيرة في الدرس النقدي والتحليلي للنصوص الشعرية، حيث:

- يسهم البحث في تعميق فهم البعد الفلسفي في شعر المهجر.
- يبرز أهمية الزمن في تشكيل الرؤية الشعرية عند إيليا أبو ماضي.
- يكشف عن تقاطع الأدب مع فلسفة الوجود.

منهج البحث

قد اتكأت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي بأدواته، رصداً، وتقريراً، وتحليلاً لدلالة الزمن في القصيدة الشعرية (أنموذج البحث) في تخطيط، اشتمل على تمهيد لمفهوم (الزمن) ، ثم أردف التمهيد بخمسة مباحث لمعالجة أبعاد موضوع البحث.

أول المباحث (الأبعاد الزمنية في النص الشعري)، والثاني(الزمن كمجاز لمراحل العمر)، والثالث(الزمن وربطه بالعاطفة)، الرابع(تشخيص الزمن)، أما الخامس(التوتر بين الماضي والحاضر والمستقبل)، واختتمت البحث بخاتمة بأبرز ما توصلت إليه الباحثة بعد التحليل.

التمهيد

الزمن يُعدّ من أبرز المكونات البنيوية والدلالية في النص الشعري، إذ يتجاوز كونه إطار كرونولوجي للأحداث، ليصبح عنصرا فاعلا في تشكيل الرؤية الشعرية، وتوجيه التجربة الإنسانية داخل النص. فأصبح الشاعر يعيد تشكيل الزمن وتوظيفه فنيا للتعبير عن مشاعره وأفكاره.

يشير الخنجري (2019) إلى أن الزمن في الشعر العربي يتداخل مع البنية النصية، حيث يتلاحم الماضي مع الحاضر والمستقبل في بنية واحدة متماسكة، تعبّر عن اجتياز الشعر لبنى الزمان محاولة لدمجها معا، واستحضار زمن مختلف مبني على ظاهرة فريدة للشعر. في حين ترى أبي نادر(2016): التوقف عند دراسة العلاقة بين القصيدة والزمن خطوة لا تنتمي إلى النقد الادبي والشعري فحسب، إنما تنمّ عن قلقٍ فلسفي، وعن ترصّد لمسألة شكّلت محور تفكرٍ غنيّ عبر تاريخ الفكر الإنساني. ليس الزمن مصطلحاً عادياً يمكن أن يُقارب في نظرية محدّدة، أو مذهب معين، ويجوز أن نعثر على حد واضح وصريح له. إن الأمر يتعلق بمحاولة جدية تستحق التوقف والتأمل في مفاعيلها، إذ إنها تربط القصيدة بالزمن أي بالتاريخ، والمجتمع، والاقتصاد، وأثر ذلك على عملية إنتاج المعنى. إنه يحاول أن يدعم الأبحاث المتراكمة حول الشعر من فقرها فيما يخصّ الحس التاريخي وتداعياته. ينغمس بالزمن، ويغرق في رصد تردّداته داخل بنية النص الشعري.(فقرة.2)

أما في الشعر الجاهلي، فقد استخدم الشعراء الزمن كرمز لتجاربهم ومعاناتهم، فقد عبّروا عن طول المدة، والحركة، والنشاط، وغيرها من المفاهيم من خلال دلالات زمنية رمزية، مثل استخدام زهير بن أبي سلمى عبارة(عشرين حجة) للدلالة على طول مدة الفراق، مما يعكس كيف أن الزمن كان يُستخدم للتعبير عن مشاعر الحنين والأسى.(جاية،2019).

المبحث الأول: الأبعاد الزمنية في النص الشعري

إن قراءة الأبعاد الزمنية قراءة فينومينولوجية لن تتأتى كمجموعة تواريخ، بل يتم تحديد أجزائها الأساسية المكوّنة في وعي الشاعر الذي يوصل القارئ إلى إدراك فعلي لكينونة الزمن ودلالته(شاهين، 1996).

وعلى عكس العادة فإن الأبعاد الزمنية لا تنحصر في (الماضي والحاضر والمستقبل)، فقد يتعمق الشاعر ويخلق أزمنة متعددة، باستخدام ألفاظٍ توحي بذلك، فالزمن الماضي يظهر في دائرة الوعي المدركة في حالات التذكر واسترجاع الأحداث والذكريات التي مثّلت محطات توقف مهمة في ذات الشاعر، وأثر الماضي يكون جلياً في لحظة التذكر تلك لغرض ما، فيستحضرها لحاجة النفس إليها في الوقت الآني، وإن غلّفها بلفظ يوحي بها. ومن هنا يفتح الشاعر آفاقاً للتأويل، لأن المعرفة المطلقة بقصدية الذات لا تنكشف من خلال المعنى العام الذي ينطق به النص، لذلك فإن مضمون الخطاب على وفق القراءة الفينومينولوجية يمنحنا فهماً خاصاً عميقاً يمثّل تأويلا تابعاً للمعنى وليس المعنى المراد في وعي الذات الشاعرة.

والنظرة المختلفة عن الذات الشاعرة هي التي تجعل النص نصاً خالداً، حين يكتشف القارئ دلالات وإيحاءات لم يكتشفها الشاعر وأيضا لم يقصدها أحياناً، وبذلك تحققت القراءة المتعمقة والنظرة الثاقبة للنص الشعري، وكأنك تتعمق في عروق الشاعر وقلبه وتتعرف على مكنونات نفسه التي جعلته يستخدم زمناً معيناً دون سواه. وبهذا قال المسكيني (2001) أن تساؤل هيدغر (هل نحن أنفسنا الزمان؟) أو بصيغة أكثر قرباً(هل أنا زماني؟)(ص.27). فزمن الذات يتحدد من خلال هوية الذات في ذلك الزمن.

يُعدّ الزمن إحدى الأركان الأساسية في البناء الأدبي، وقد شغلت دراسته حيزاً كبيراً في الدراسات النقدية، ويتأمل الشاعر الزمن بوصفه عنصراً متحركاً ضمن الأفق المكاني، وهذه الحركة تضمر داخلها تغيرات تطرأ عليها، فالشاعر يستذكر ويعرض الأبعاد الزمنية المتنوعة تبعاً لعاطفته، ولذلك يتعامل مع الزمن بوصفه كائناً حياً، وهذا هو التشخيص، والذي يعني إبراز الجمادات من خلال صور تظهر فيها بشكل حي.

في قصيدة (المساء) يشكّل الزمن محوراً أساسياً مهماً في بناء المعنى والتجربة الشعورية؛ حيث يوظفه الشاعر بأساليب فنية متعددة، تعكس تأملاته الوجودية وتصوراته الفلسفية. فعند تحليل قصيدة المساء نجد أن الشاعر مزج بين الأزمنة وربطها بعاطفتين متناقضتين سيطرتا على النص، عاطفة الشاعر وعاطفة سلمى، فدلالة الزمن لدى الذات الشاعرة تغاير دلالتها عند سلمى (الذات التي حاورها الشاعر)، يقول إيليا أبو ماضي:

السحبُ تَرْكضُ في الفضاءِ الرَّحْبِ رَكْضَ الخائفينْ
والشمسُ تبدو خَلْفَها صفراءَ عاصِبَةَ الجبينْ
والبحرُ ساجٍ صامتٌ فيه خشوعُ الزاهدينْ
لكنَّما عيناكِ باهِتَتَانِ في الأُفقِ البعيدْ
سلمى بماذا تفكرينْ؟
سلمى بماذا تحلمينْ؟

***

أرأيتِ أحلامَ الطفولَةِ تختفي خلفَ التُّخومْ؟
أمْ أبصرتْ عيناكِ أشباحِ الكهولَةِ في الغيومْ؟
أَمْ خفتِ أن يأتي الدُّجى الجاني ولا تأتي النجومْ؟
أنا لا أرى ما تَلْمحينَ مِنَ المشاهدِ إنما
أظلالها في ناظريكِ
تَنِمُّ، يا سلمى، عليكِ

***

إني أراكِ كسائحٍ في القَفْرِ ضلَّ عن الطريقْ

يرجو صديقاً في الفلاةِ، وأينَ في القَفْرِ الصديقْ
يهوى البروقَ وضوءَهَا، ويخافُ تخدعُهُ البروقْ
بلْ أنتِ أعظمُ حيرةً من فارسٍ تحتَ القتامْ
لا يستطيعُ الانتصارْ
ولا يَطيقُ الانكسارْ

***

هذي الهواجسُ لم تَكُنْ مرسومةً في مقلتَيْكِ
فلقدْ رأيتُكِ في الضُّحى ورأيتُهُ في وجنتَيْكِ
لكنْ وجدتُكِ في المساء وَضَعْتِ رأسكِ في يدَيْكِ
وجلستِ في عينيكِ ألغازٌ، وفي النفسِ اكتئابْ
مثلُ اكتئاب العاشقينْ
سلمى بماذا تفكرينْ؟

***

بالأرضِ كيفَ هَوَتْ عروشُ النورِ عن هضباتِهَا؟
أمْ بالمروجِ الخُضْرِ سادَ الصمتُ في جنباتِهَا؟
أمْ بالعصافيرِ التي تعدو إلى وكناتِهَا؟
أمْ بالمسا؟ إنَّ المسا يخفي المدائنَ كالقرى
والكوخُ كالقصرِ المكينْ
والشوكُ مثلُ الياسمينْ
لا فرقَ عندَ الليلِ بينَ النهرِ والمستنقع
يخفي ابتساماتِ الطروبِ كأدمُعِ المتوجّعِ
إنَّ الجمالَ يغيبُ مثلُ القبحِ تحتَ البُرقعِ
لكنْ لماذا تجزعين على النهارِ وللدجى
أحلامُهُ ورغائبُهْ
وسماؤُهُ وكواكبُهْ؟

***

إنْ كانَ قد سَتَرَ البلادَ سهولُهَا ووعورُهَا
لم يسلُبِ الزهرَ الأريجُ ولا المياهَ خريرُهَا
كلا، ولا مَنَعَ النسائمَ في الفضاءِ مسيرُهَا

ما زالَ في الوَرَقِ الحفيفْ وفي الصَّبَا أنفاسُهَا

والعندليبُ صداحُهُ

لا ظفرُهُ وجناحُهُ

***

فاصغَيْ إلى صوتِ الجداولِ جارياتٍ في السفوحْ

واستنشقي الأزهارَ في الجنَّاتِ ما دامتْ تفوحْ

وتمتَّعي بالشُّهْبِ في الأفلاكِ ما دامتْ تلوحْ

من قَبْلُ أنْ يأتي زمانٌ كالضبابِ أو الدخانْ

لا تبصرينَ به الغديرْ

ولا يَلَذُّ لكِ الخريرْ

***

لتكنْ حياتُكِ كلها أملاً جميلاً طيّبا

ولتملإِ الأحلامُ نفسَكِ في الكهولةِ والصِّبى

مثلُ الكواكبِ في السماءِ وكالأزهارِ في الرُّبى

ليكنْ بأمرِ الحبِ قلبُكِ عالَماً في ذاتهِ

أزهارُهُ لا تذبلُ

ونجومُهُ لا تأفلُ

***

ماتَ النهارُ ابنُ الصباحِ فلا تقولي كيفَ ماتْ

إنَّ التأملَ في الحياةِ يَزيدُ أوجاعَ الحياةْ

فدعي الكآبةَ والأسى واسترجعي مَرَحَ الفتاةْ

قد كانَ وجهُكِ في الضحى مثلَ الضحى متهلّلا

فيه البشاشةُ والبهاءْ

وليكنْ كذلكَ في المساءْ

المبحث الثاني: الزمن كمجاز لمراحل العمر

يتضح من النص الشعري أنه جعل أوقات اليوم رموزاً شعرية، توحي بدلالات متنوعة، تختلف في نظرتها بين الذات الشاعرة وبين المحاور له وهي سلمى:

أولاً: جعل (الضحى) رمزاً للطفولة والفرح.

ثانياً: (المساء) رمزاً للكهولة والحزن.

ثالثاً: (ليل الدُّجى) رمزاً للشيخوخة والموت.

رابعاً: (الغروب) رمزاً لنهاية مرحلة من الحياة.

نلاحظ أنه ربط الوقت الزمني بمرحلة عمرية من المراحل التي يمر بها الإنسان، حيث جعل مرحلة الطفولة خاصاً بالضحى، بما أنه وقت ارتفاع النهار وامتداده، وهنا كان الاستخدام مناسباً لتساوييهما بفترة الظهور وهي الصِغَر، بينما نجده يربط مرحلة الكهولة والشيخوخة وهي مراحل عمرية متأخرة بحياة الإنسان بالمساء والليل، ربما لأنه يأتي بنهاية اليوم حاملاً معه كل مظاهر التعب والشقاء التي مرّ بها الإنسان طوال نهاره، فجعلها مرحلة صعبة متأخرة توحي بالحزن واليأس والألم، ولكنها لو تعمقّنا قليلا سنجد الليل هو امتداد للضحى والصبح فلولاه لما ظهرا. وهذه المراحل العمرية قد تكون مناسبة لتفكير سلمى السلبي، والذي ناقضه الشاعر في النصف الثاني من النص الشعري، حينما قال :

لكنْ لماذا تجزعين على النهار وللدجى

أحلامُهُ ورغائبُهْ

وسماؤُهُ وكواكبُهْ؟

فهنا ظهر جليّا رغبة الشاعر بتوقف سلمى عن التفكير بالليل والمساء وكأنهما نهاية الحياة، فلكل وقت زمني له أحلامه ورغائبه، له أهدافه وأمنياته التي يتمنى الإنسان تحقيقها، فالنهار مصدر عمل الكثيرين وكذا الليل، فمن الخطأ أن نربط الليل بالحزن والكآبة دائما. ثم يستمر الشاعر في تذكير سلمى بظواهر الطبيعة الخلابة التي منحنا الله، ورغبته في التمتع والتأمل في الكون ومظاهر الطبيعة التي تمنعنا من التفكير بالأحزان والهموم لأن الحياة لن تكون كلها سعادة ولو تمنينا ذلك. هذا التوازي الزمني يعكس رحلة الإنسان من البراءة إلى النضج، ثم يواصل رحلته إلى الغموض والمجهول، فيقول:

أرأيتِ أحلامَ الطفولَةِ تختفي خلفَ الغُيومْ؟

أمْ أبصرتْ عيناكِ أشباحِ الكهولَةِ في الغيومْ؟

أَمْ خفتِ أن يأتي الدُّجى الجاني ولا تأتي النجومْ؟

استخدم الزمن هنا لتجسيد التحولات النفسية والوجودية التي يمرّ بها الإنسان، مما يضفي على القصيدة طابعا تأملياً عميقاً.

المبحث الثالث: الزمن وربطه بالعاطفة

اختلفت النظرة للوقت باختلاف العاطفة لديهما (الذات الشاعرة وسلمى)، فنبعت من النص عاطفتان متضادتان، عاطفة الحزن، واليأس، والكآبة، والتشاؤم، التي تظهر واضحة عند سلمى، وعاطفة التفاؤل، والفرح، والأمل عند الذات الشاعرة.

فبسبب عاطفة سلمى المتشائمة، نظرت للمساء والليل أنهما مليئان بالحزن والكآبة، وكل المشاعر السلبية؛ لسيطرة الخوف والقلق والاضطراب على نفس سلمى. ولكننا نجد أن النظرة تختلف تماماً عند الذات الشاعرة التي نبعت من عاطفة متفائلة، محبّة للحياة، يدعو فيها الشاعر إلى التمتع بجمال الطبيعة الخلابة وعدم الرضوخ للمشاعر الحزينة والأفكار السلبية التي تحبط النفس. فنظرة الشاعر للغروب مثلاً هي انتهاء مرحلة لتبدأ مرحلة جديدة بها مظاهر الجمال والهدوء والسكينة، والليل والمساء ليس انتهاء الحياة لديه، إنما وقت لراحة النفس والسكينة، وشحن الجسم بالطاقة اللازمة والأمل والتفاؤل أنّ بعد الليل سيأتي وقت الضحى والصباح المفعم بالنشاط والحيوية والعمل.

وهذا يجعلنا نفكر بأمر ضروري للغاية، وهو أن رؤيتنا للأمور تختلف من شخص لآخر، وهذه الرؤية والنظرة هي التي تشحذ وتقوي العاطفة لدينا سواء أكانت عاطفة حزن وتشاؤم، أم عاطفة فرح وتفاؤل، فالزمن لا يجلب معه الحزن والفرح كما نتصور، إنما نحن بأنفسنا نخلق السعادة أو الحزن.

المبحث الرابع: تشخيص الزمن

يتعامل الشاعر مع الزمن ككائن حي- وهذه إحدى خصائص أدباء المهجر- حيث يمنحه صفات إنسانية فيشخّصه ويمنحه القدرة على التأثير والشعور، هذا يتجلى في كثرة استخدام الاستعارات المكنية والتصريحية، والمحسنات المعنوية كالتضاد: مثل:

السحبُ تَرْكضُ في الفضاءِ الرَّحْبِ رَكْضَ الخائفينْ

والشمسُ تبدو خَلْفَها صفراءَ عاصِبَةَ الجبين

والبحرُ ساجٍ صامتٌ فيه خشوعُ الزاهدينْ

لكنَّما عيناكِ باهِتَتَانِ في الأُفقِ البعيدْ

فهذه الصور البيانية الخيالية تُضفي على العناصر الطبيعية صفات إنسانية، مما يعكس العلاقة الحميمة بين الإنسان والطبيعة، ويُبرز تأثير الزمن على كل منهما.

المبحث الخامس: التوتر بين الماضي والحاضر والمستقبل

يظهر الشاعر توتراً بين الذكريات الماضية، والواقع الحاضر، والمستقبل المجهول، فهو يستحضر أحلام الطفولة التي " تختفي خلف التخوم" فتنتهي سريعاً متحولة لمرحلة أخرى بحياة الإنسان رَغماً عنه، ويعبر عن الخوف من" الدجى الجاني" الذي قد يأتي حاملاً معه الخفايا والذكريات المؤلمة دون أن " تأتي النجوم" هذا التوتر الزمني المتسارع بين طيات النص ألفاظه يُعبّر عن القلق الوجودي، والخوف من المجهول، ويبرز الصراع الداخلي الذي يعيشه الإنسان في مواجهة الزمن، وبالتالي مواجهة مخاوفه والعواطف التي تجيش بسريرته.

واستدعى الشاعر الماضي بوصفه ملاذاً ضائعاً، خصوصاً الطفولة بوصفه زمناً نقياً، مفعماً بالأحلام

والأمنيات والبراءة والنقاء، لكنه الآن غداً بعيداً" يختفي خلف التخوم" هذا الاستدعاء ليس حنيناً ساذجاً، بل هو نوع من الأسى على الانفصال عن زمن الصفاء والبراءة واللامبالاة بمصاعب الحياة وكل ما يدور حولها.

أرأيت أحلام الطفولة تختفي خلف التخوم؟

هذا التساؤل يحمل في طياته الألم من الفقد، فَقْد مرحلة زمنية ممتعة لن تعود أبداً، واللاجدوى من السعي لعودتها، فهو ما يمنحه بُعداً أسطورياً شبه مقدّس، ليس الماضي تاريخاً فقط، بل حالة شعورية أزلية لدى الإنسان. فالطفولة هنا في نظر الشاعر ليست مجرد سن ومرحلة عمرية، بل زمن الصفاء والنقاء والطهارة، وانعدام الخوف والقلق من المجهول. فتساؤله لا يطلب جواباً، بل يعبّر عن حسرة، وقلق ، وحزن دفين على فقدان هذا الفردوس الطفولي.

القصيدة كلها تدور في لحظة مساءٍ كئيب، رمزياً هي لحظة من العمر في انحداره، في المقابل يُستحضر الماضي كـ (صباح) الحياة، كأننا أمام جدلية الأوقات الزمنية (الصباح/ المساء/ الميلاد/ الانطفاء).

حيث يمثل الزمن القديم أول النور، أما الآن فهو آخره، هذا البُعد الزمني يُعطي للماضي وظيفة شعرية عليا، إنه ليس فقط ما مضى، بل كمرآة تعكس البراءة المفقودة، والطمأنينة الضائعة، والحلم الذي لم يكتمل، إنه زمن مفارق، لكنه حي في الذاكرة، حاضر بقوة في شعور الفقد الذي يعيشه الشاعر في الحاضر. فالماضي ليس حيادياً في القصيدة، بل يؤلم الحاضر كلما استدعي، كان حضوره قاسياً؛ لأنه يقارن الزمن الجميل البسيط المليء بالنقاء والبراءة بما آل إليه الحاضر، فتصبح الذكريات عبئاً وجدانياً

أما الحاضر فيمثل اللحظة الأشد تعقيداً في البناء الزمني للقصيدة؛ فهو ليس مجرد(الآن) الذي يعيشه الشاعر، بل مساحة شعورية مشبعة بالقلق، مليئة بالتساؤلات والتمزق النفسي، فقد استخدمه كزمن للحيرة والقلق الآن، وهو في لحظة تأمل بين البحر والمساء، يجد الشاعر نفسه غارقاً في أسئلته، عاجزاً عن القبض على الحاضر اليقين، المليء بالضبابية، والصراع عندئذ بين ما كان وما سيكون. ويمكن تحليل الحاضر من عدة زوايا:

- الحاضر كزمن الوعي المؤلم:

فالحاضر هو اللحظة التي يواجه فيها الشاعر ذاته، والوجود من حوله، هو زمن الوعي بالتحول، والانتهاء، بالسقوط من براءة الطفولة إلى غموض الكهولة، في هذه اللحظة لا يعود الشاعر قادراً على الاطمئنان إلى الماضي، ولا يجد في المستقبل ما يبعث الراحة. فهنا يظهر بمظهر الثقيل، الخانق، تتكثف فيه كل مشاعر الضياع، والطبيعة حوله لا تعود حية ومطمئنة، بل منعكسة لقلقه الداخلي:

السحبُ تَرْكضُ في الفضاءِ الرَّحْبِ رَكْضَ الخائفينْ

والشمسُ تبدو خَلْفَها صفراءَ عاصِبَةَ الجبين

فهذه الصور ترسم الطبيعة وكأنها تعيش حالته النفسية المتقلّبة، فتؤكد أن الحاضر ليس خارج الذات فقط، بل جزء من معاناتها الوجودية، النفسية، المحطّمة.

بينما ينتقل الشاعر فيما بعد ليوضح أن الشاعر في الحاضر يشعر وكأنه غريب داخل العالم الجديد الذي يحيط به(البحر ساج، صامت، فيه خشوع الزاهدين، الريح تصرخ بلا معنى، السحب تجري بلا وجهة، ساد الصمت..) فالحاضر بالنسبة له هو زمن الصمت الكوني، الهدوء اللامتناهي، حيث لا تجيب الطبيعة على تساؤلاته الكثيرة، ولا تمنح الطمأنينة، مما يعكس اغتراباً وجودياً حاداً.

ثم نراه يجعل الحاضر كتقاطع بين الذكريات والهواجس، وكأنه مسرح التصادم بين ذكريات الطفولة التي يستدعيها الشاعر بأسى وحزن وشعور بالفقد، ومخاوف المستقبل الذي لا يحمل في طياته الجمال ولا يأتي بنور كما قال" ولا تأتي النجوم"، هذا التوتر يجرّد الحاضر من الاستقرار، ويجعله مأزقاً زمنيا لا راحة فيه، زمن لا تتوقع ما قد يتضمنه من مشاعر أو مشاعر ومواقف.

فالحاضر هنا كزمن الملاحظة الشعرية، فالشاعر لا يحكي للقارئ قصة حدثت له، بل يرسل مشهداً خيالياً، في لحظة تأمّل عميق، والقصيدة كلها تنبع من هذه اللحظة الآنية، عندما يتأمل السماء، والبحر، والسحب...، هو أشبه بوقفة على حافة الزمن، فيتأمل ماضيه بذكرياته السعيدة والحزينة، وخوفه من مستقبله، فهي محطة انتقالية ما بين الماضي المعلوم والمستقبل المجهول، وكأنه جسر ينتقل الشاعر إليه مُكْرهاً، فيحوّل بذلك الحاضر إلى لحظة فلسفية شاملة. ورغم هذا التوتر ينتهي الشاعر بتوجيه نصيحة إلى " سلمى" الذات المحاورة، بعدم التفكير في الحياة وآلامها:

ماتَ النهارُ ابنُ الصباحِ فلا تقولي كيفَ ماتْ

إنَّ التأملَ في الحياةِ يَزيدُ أوجاعَ الحياةْ

فدعي الكآبةَ والأسى واسترجعي مَرَحَ الفتاةْ

وهذه محاولة منه للتخفيف على سلمى من عبء التفكير بالحاضر، فيقدّم لنا فلسفة حياتية" لنعش اللحظة كما هي ولو كانت مربكة".

ينتقل الشاعر فيما بعد بالحديث عن المستقبل بجعله زمن مهدد، حيث يمثّل الزمن المستقبل بُعداً شاعرياً غنياً بالدلالات النفسية، والفلسفية، لكنه ليس مستقبلاً ورديا، بل هو مستقبل معلّق، مبهم، يفيض بالحزن والتشاؤم، غامض؛ لأنه زمن مجهول مسكون بالقلق والخوف منه. فالتوجس والخوف من المستقبل المجهول يتجلى بوضوح في تصوره للدجى الذي " قد يأتي ولا تأتي النجوم" أي أن المستقبل ليس فقط مجهولاً لديه، بل مهدد بالظلام والفقد:

أم خفت أن يأتي الدجى الجاني ولا تأتي النجوم؟

وكأن الزمن القادم يحمل احتمالات ورؤى الفقد دون تعويض، والعتمة والظلام بلا بصيص نور وأمل، وهذه العبارة تشير رمزياً إلى غياب الأمل، وانطفاء الدليل الروحي وهي النجوم التي طالما كانت رمزا للهداية، لن تأتي بالمستقبل، ذلك يعني أنه مظلم بلا إشارات ولا خلاص.

في حين أنه لا يعطينا صورة واضحة للمستقبل، بل يكتفي بإيحائه بكونه مجهولاً كزمن غائم وغير مرئي،

فيقول:

أرأيت أحلام الطفولة تختفي خلف التخوم؟

أم أبصرت عيناك أشباح الكهولة في الغيوم؟

نراه هنا يصور المستقبل عبر " أشباح الكهولة" وكأن ما ينتظر الإنسان في المستقبل ليس النضج، والأمل، بل الذبول، والتآكل، والوحدة. إن استخدام كلمة " أشباح" يُضفي ظلالاً من الخوف، ويجعل الزمن الآتي زمن موت رمزي. وكلها رموز للتدهور والضياع والغموض الذي يتبعه الألم، والانطفاء التدريجي والشاعر ينسج علاقة عميقة بين الزمن والوعي، فيظهر المستقبل كمجال زمني لن يبلغ الإنسان فيه اليقين.

الطبيعة صامتة، لا تجيب

والريح تصرخ، البحر لا يبوح

حتى الطبيعة التي يمكن أن تكون نافذة للحكمة والتأمل لا تمنحه جواباً، وهذا الصمت الكوني يجعل المستقبل فضاء لا يتوقعه الإنسان، بل يزيد من عزلة الشاعر حين يرى أن كل مظاهر الطبيعة قد انسحبت من وظيفتها النفسية وهي السكينة والاطمئنان، وبالتالي يتركه في صراع وجودي مع مستقبله المجهول المعتم الغامض.

والمستقبل عنده لا يأتي منفصلا عن مصير النفس، فالماضي عنده هو الحلم والجمال بذكريات زمن الطفولة، والحاضر هو القلق المثقل بالأسى ، بينما المستقبل هو الضياع أو الموت. فالمستقبل ليس انتقالاً طبيعياً في الزمن، بل سقوط داخلي للذات، وانعكاس لمشاعر الاغتراب واليأس والتشاؤم التي ملأت قلبه.

الخاتمة

وظّف إيليا أبو ماضي الزمن كأداة فنية رمزية، تعكس تأملاته الوجودية، وتُبرز العلاقة المعقدة بين الإنسان والزمن، مما يضفي على القصيدة طابعاً فلسفياً عميقاً. فالقصيدة تعبّر عن الإيقاع الداخلي للنفس البشرية، إذ يتغير إيقاع الشعور من لحظة لأخرى، كأن القصيدة تسير على نبض متغير، متأرجح بين الطمأنينة والقلق، وهذا التذبذب يجسّد إيقاع الزمن النفسي للشاعر. وبهذا الإيقاع نراه يحوّل الزمن من النهار إلى المساء، وهو ما يشبه اللحن التصاعدي، فكما تبدأ الأنغام مشرقة، وتنتهي حزينة، يبدأ اليوم بالضياء، وينتهي بالعتمة، وهذا التدرج الزمني ينعكس موسيقياً في انحدار الحالة الشعورية من تأمل إلى حزن ويأس.

أخيراً في قصيدة " المساء" يوظف إيليا أبو ماضي الزمن ببراعة؛ ليعكس صراعه الوجودي، فالماضي يتجلّى كذكرى جميلة، والحاضر كغيمة من الحزن والأسى، بينما المستقبل يُرسم كمجهول مقلق، غامض، لا يحمل وعداً بالخلاص، وبهذا يصبح الزمن في القصيدة مرآة لقلق الذات وتيهها، وخاتمة رمزية لمسيرة إنسانية أُثقلت بالتساؤل والتشاؤم.

المراجع

إبراهيم، سعاد عبد الحليم. الزمن وإنتاج خطاب الرضا: دراسة أسلوبية موازنة بين الشاعر إيليا أبي ماضي والشاعر محمد مصطفى حمام. مجلة كلية الآداب بجامعة سوهاج، (53). 101 – 144.

أبي نادر، نايلة.(2016، فبراير 8). *شربل داغر مسائلاً «الزمن في القصيدة»: حفريات في الشعرية العربية الحديثة*. صحيفة الأخبار .https://www.al-akhbar.com.

الخنجري، إسحاق.(2019). الزمن وبنية النص الشعري. *مجلة نزوى*.(97). *41- 50*.

السويفان، صباح هابس.(2010) . الليل عند إيليا أبي ماضي : دراسة في الرؤية والصورة. مجلة كلية دار العلوم،(54) . 329- 368.

العلاق، علي جعفر.(2013). *في حداثة النص الشعري*(ط.٣). دار فضاءات.

المسكيني، فتحي.(2001). *الهوية والزمان تأويلات فينومينولوجية لمسألة السنحن*. دار الطليعة للطباعة والنشر.

الهلالي، حسين عبود، ولطيف، حسن سعد.(2018).جدلية الزمن في شعر المخضرمين. *مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية*،(43). 33- 57.

جاية، محمد ياسين.(2019). *دلالة الزمان الحقيقية والرمزية في الشعر الجاهلي*. دار البنان للطباعة والنشر والتوزيع.

رفيق، سوزان فخري.(2023). تشخيص الدهر والزمن في شعر إيليا أبو ماضي: دراسة وتحليل. *مجلة بحوث اللغات*، 6(2). 83 -98.

شاهين، محمد. (*1996*). *الأدب والأسطورة*. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.